تونس في 11 ماي 2009

مذكرة إلى سامي عناية سيادة رئيس الجمهورية

الموضوع : حول مهمة في الولايات المتحدة.

أتشرّف بإبلاغ سيادتكم أنّي قمت بمهمة في واشنطن خلال الفترة من 2 أفريل إلى 1 ماي 2009.

وأجريتُ في هذا الإطار جملة من الإتصالات شملت :

- وسائل الإعلام
- مراكز البحوث
- دوائر الإدارة والكنغرس
- المنظمات اليهودية.

I- ملاحظات عامة

1) تبدو الإدارة الحالية منشغلة بالمأزق الكبير الذي تواجهه نتيجة السياسات الفاشلة للإدارة السابقة في الداخل والخارج، كما يبدو أنها مازالت تحتاج إلى وقت لتحديد سياساتها الجديدة.

2) لمَسْتُ خلال لقاءاتي مع الصحفيين اهتماما واضحا بمواقف سيادة الرئيس ومقارباته ومبادراته. وتجلّى ذلك من خلال التماس ثلاثة وسائل إعلام على الأقل (قناة «الحرّة»، The Middle East Times، Congressional Quarterly) إجراء أحاديث مع سيادة الرئيس.

3) بخصوص وضع وآفاق العلاقات التونسية الأمريكية، فيما يلي ملخص للملاحظات التي وردت على لسان بعض مخاطبيّ :

- عبرت لي السيدة Robin Raphel، السفيرة الأمريكية السابقة في تونس، عن قناعتها بأن الإدارة الأمريكية السابقة لم تتعامل مع مقاربات بلادنا وسياساتها بما تستحقه من تقدير. وأعربت في هذا الإطار عن اعتقادها بأن الأزمة الاقتصادية العالمية أكدت مجددا صواب مقاربات تونس. لكن السفيرة السابقة ترى ضرورة «مراجعة» طريقتنا في تقديم مكاسب وإنجازات بلادنا في الولايات المتحدة. وهي تقول أنها «مستعدة للمساعدة على ذلك». وترى السيدة رايفل من ناحية أخرى، أن الإدارة الحالية مازالت تبحث عن الطريقة التي ستتعامل بها مع بلدان المغرب العربي.

.../...

- قال لي السيد William Hudson، مدير شؤون المغرب العربي والجزيرة العربية في الخارجية الأمريكية، إن الإدارة الجديدة تعول على مساعدة بلادنا لها في جهودها الرامية لتسوية مشكل الشرق الأوسط. وأعرب عن أمله في أن يحظى السيد جورج ميتشل باستقبال سيادة الرئيس له في زيارة قادمة لتونس إن سمحت التزامات سيادته بذلك.

وهو يرى، على الصعيد الثنائي، أن الإدارة الأمريكية ستواصل الاهتمام بمسألة حقوق الإنسان ولكن طريقة معالجة المسألة ستكون على الأرجح «أكثر هدوءا».

- عبَّر لي السيد Joel Rubin، المدير السياسي للجمعية اليهودية « J Street » والمسؤول السابق في «مبادرة الشراكة الأمريكية في الشرق الأوسط» (MEPI)، أن «مبادرة الشراكة» قد فشلت نتيجة سوء التصرّف والغرور والفساد والمحسوبية في الإدارة السابقة. وذكر مخاطبي أن معظم مسؤولي MEPI قد غادروا بعد هذا البرنامج إلى مواقع أخرى. (كما أعلمني مسؤول بالخارجية الأمريكية أن السيد Elliot Abrams، المسؤول السابق عن «الشرق الأوسط والديمقراطية» في البيت الأبيض، قد أصبح يقضي وقته في إلقاء المحاضرات على متن السفن السياحية).

- أما السيد Robert Satloff، مدير معهد دراسات الشرق الأدنى « WINEP » (الذي لعب دورا مساندا للمحافظين الجدد في الإدارة السابقة) فقد أعرب لي عن إعتقاده «بأن الدعوة للإصلاح الديمقراطي وحقوق الإنسان لم تعد من أولويات واشنطن».

- ويرى الخبير الجامعي المختص في العلاقات الأمريكية المغاربية مارك حبيب، أن الإدارة الجديدة مهتمة «بالتنمية المستديمة» أكثر من اهتمامها بالتبشير بالديمقراطية أو التجارة الحرّة، مشيرا إلى أن ذلك يوفر لبلادنا مناخا إيجابيا لإبراز نجاحاتها.

4) الاهتمام بالمغرب العربي :

بدا لي جليا، من خلال الإتصالات التي أجريتها مع أطراف الإدارة والكنغرس والدوائر الأكاديمية والصحفية، أن هناك اهتماما متزايدا بالمنطقة المغاربية، كما أن هناك محاولات «لتحريك» قضية الصحراء الغربية، وذلك على خلفية عدة اعتبارات من بينها :

- الرغبة المعلنة من قبل الإدارة الأمريكية في «تشجيع مسار الإندماج المغاربي»، وإتباع سياسة أكثر حيادية تجاه مشكل الصحراء الغربية. (وقد

لاحظتُ أن الخارجية الأمريكية أصبحت تتهم مسؤول البيت الأبيض السابق Elliot Abrams بأنه هو من دفع الإدارة السابقة إلى الانحياز لفائدة الموقف المغربي من مشكلة الصحراء).

- تخصيص المغرب والجزائر وليبيا لميزانيات هامة من أجل تعزيز مواقعها في الولايات المتحدة.

وتشير الوثائق الرسمية الأمريكية في هذا الصدد إلى أن المغرب الأقصى أنفق من أجل الدعاية والترويج لمصالحه ما يقارب 7,5 ملايين دولار خلال السنة الماضية، وذلك عبر سبع مؤسسات للإشهار والعلاقات العامة.

ويدخل جانب كبير من هذه الجهود الدعائية ضمن الحملة المكثفة التي تخوضها المغرب من أجل الترويج لمخطط الحكم الذاتي بمساعدة عدد من الشخصيات الأكاديمية وأعضاء الكنغرس (وقد سُجِّل في هذا الصدد انضواء عدد من الشخصيات الأمريكية تحت لواء الدفاع عن هذا المخطط وإمضاء حوالي نصف أعضاء مجلس النواب على رسالة مساندة للمقترح المغربي).

أما ليبيا فقد أمضت عقدا مع شركة أمريكية مختصة في العلاقات العامة والتأثير السياسي Lobbying بقيمة 2,4 مليون دولار سنة 2008 (وقد حصلتُ على النص الكامل لخطة عمل هذه الشركة لفائدة ليبيا في الولايات المتحدة. وتتضمن هذه الخطة أهدافا سياسية واقتصادية وعسكرية وأمنية).

وأنفقت الجزائر حوالي 410 ألف دولار السنة الماضية مقابل خدمات قدمتها شركة أمريكية مكلفة بالدفاع عن «وجهة النظر الصحراوية» في الكنغرس. ويتوقع بعض الملاحظين الأمريكيين المهتمين بالشؤون المغاربية أن تبادر السلط الجزائرية (من أجل مواجهة «التفوق المغربي» في واشنطن) بتوطيد علاقاتها مع المؤسسة العسكرية الأمريكية. ومن غير المستبعد أن يتم الإتفاق قريبا على شراء الجزائر لكمية هامة من الأسلحة والمعدات العسكرية مما قد يساهم في تكوين «لوبي» مؤثر لفائدة الجزائر.

ملاحظة : تطرح الجهود الدعائية المكثفة للبلدان المغاربية الأخرى إحتمال تقديم هذه البلدان أو بعضها لمعلومات غير دقيقة عن بلادنا، مما يستوجب، حسب رأيي، متابعة حذرة لهذه الجهود خاصة تجاه أعضاء الكنغرس.

II- إتصالاتي بوسائل الإعلام

تضمنت اتصالاتي بالخصوص :

- لقاءًا مع السيد دانيال ناصيف، مدير عام قناة «الحرّة». وقد أقر مخاطبي بأن قناته إرتكبت قبل توليه إدارة القناة السنة الماضية «أخطاء» بشأن تونس. ووعد بأن تكون تغطية المستجدات التي تخص بلادنا متوازنة. وتعهّد بالانكباب شخصيا على معالجة أيّة إشكالية قد تطرأ. ومن ناحية أخرى وعد بتكليف الصحفي أكرم خزام (وهو صديق لبلادنا) بتغطية الانتخابات القادمة.

- مقابلة مع السيدة Georgie Anne Geyer، التي رجتني بإلحاح إبلاغ رئيس الجمهورية خالص عبارات شكرها وتقديرها لسيادته على مبادرته النبيلة تجاهها والمتمثلة في إبلاغه تمنياته لها بالشفاء العاجل لمّا تعرضت لأزمة صحية السنة الماضية. وأعلمتني برغبتها في زيارة تونس بمناسبة الانتخابات القادمة.

- إجتماعا بالسيد Amer Yacoub، ناشر مجلة «Foreign Policy» المختصة في الشؤون الدولية وعددا من مسؤولي التحرير في المجلة. وتطرق الإجتماع إلى مختلف إمكانات ومجالات التعاون مع مجموعة النشر التي تنتمي إليها هذه المجلة (وهي تضم كذلك صحيفة «The Washington Post» ومجلة «Newsweek»). وقدمتُ بالمناسبة كذلك توضيحات ومعطيات حول الإنجازات والمكاسب التنموية التي تحققت في بلادنا.

- لقاءًا مع السيد Jonathan Broder، رئيس تحرير الشؤون الخارجية والدفاعية في مجلة «Congressional Quarterly» (وهي أهم نشرية أمريكية تهتم بشؤون الكنغرس). وعلى ضوء المعطيات التي قدمتها لمخاطبي أعرب هذا الأخير عن رغبته في تأدية زيارة لبلادنا من أجل إنجاز تحقيق حول نجاح نموذج التنمية في تونس.

III- إتصالاتي بمراكز البحوث

- ألقيتُ محاضرة مشفوعة بنقاش في معهد دراسات الشرق الأوسط (Middle East Institute) بواشنطن تحت عنوان «مقاربات التحديث في تونس». وتناولتُ في محاضرتي الجذور التاريخية الراسخة للمقاربات الإصلاحية والتحديثية في تونس، بدءًا من القرن التاسع عشر ووصولا إلى عهد التحول. وأبرزتُ في هذا الخصوص نجاح تونس بفضل السياسات

الصائبة للرئيس بن علي ومقارباته الإستشرافية والمستنيرة في تحقيق نموذج تنموي ناجح على كافة المسارات مما جعلها في غنى عن النماذج الجاهزة التي تحاول بعض الأطراف تمريرها. وحضر الندوة جمع من الخبراء والصحافيين والمسؤولين. وقد تناولت تساؤلاتهم إثر المحاضرة مواضيع مختلفة من بينها القراءة المستنيرة للإسلام في تونس والمكاسب التنموية التي تحققت في بلادنا والمسار الانتخابي والسياسي.

- تحادثت مع السيدة Tamara Cofman Wittes، مديرة برنامج الديمقراطية والتنمية في الشرق الأوسط في معهد « Brookings» للبحوث السياسية. (والسيدة Wittes من الشخصيات الديمقراطية المرشحة لتولي مناصب سامية في الإدارة الأمريكية). وتناولت المحادثة مختلف أوجه التجربة التونسية سيّما على صعيدي التنمية والديمقراطية. وقد لاحظتُ لدى مخاطبتي تقديرا واضحا لتجربة بلادنا مقابل انتقاد شديد للأوضاع في مصر.

- السيد William Zartman، خبير الشؤون المغاربية ومدير الدراسات الإفريقية بالمعهد الأعلى للدراسات الدولية (SAIS).

بدا لي من الواضح مساهمة هذا الجامعي الأمريكي بشكل محوري في الدفاع عن مواقف المغرب في الولايات المتحدة، من ذلك سعيه بمشاركة عدد السياسيين الأمريكيين إلى دفع الإدارة الأمريكية كي تعتمد المقترح المغربي بإقامة حكم ذاتي في الصحراء الغربية. وقد تجلى ذلك مؤخرا من خلال تنظيمه لندوة في واشنطن صدر عنها تقرير بعنوان «لماذا يكتسي المغرب العربي أهمية: التهديدات والإمكانيات والخيارات من أجل دور أمريكي ناجع في شمال إفريقيا». وكان من أهم توصيات الندوة أن تساهم الإدارة الأمريكية الجديدة في حل النزاع الصحراوي على أساس المقترح المغربي. وقمتُ بالمناسبة بتوضيح عدة نقاط بخصوص المستجدات في بلادنا للسيد Zartman. وأبدى هذا الأخير، من ناحية أخرى، رغبته في أن توجه له الدعوة لزيارة تونس.

- السيدة Jane Nolan، مسؤولة بمعهد الدراسات الدبلوماسية في جامعة جورجتاون. وهي أيضا أكاديمية قريبة من الإدارة الأمريكية.
وقد وجهتْ مخاطبتي انتقادات شديدة للسياسات وللمواقف المتطرفة والمجحفة للإدارة السابقة تجاه البلدان العربية. وطلبت مني إلقاء محاضرة خلال مناسبة قادمة في مدينة Pittsburgh حول نموذج التنمية التونسي.

IV- إتصالاتي بالإدارة والكنغرس

أجريتُ، بالتنسيق الوثيق مع سفارتنا في واشنطن، لقاءات مع :

- السيد Gary Ackerman، رئيس اللجنة الفرعية للشرق الأوسط وجنوب آسيا في مجلس النواب الأمريكي.

أبدى السيد Ackerman إهتماما خاصا بمواقف بلادنا تجاه مشكل الشرق الأوسط. وأعرب السيد Ackerman عن «إعجابه بالاستقرار الذي تعرفه تونس رغم إضطراب المنطقة المحيطة بها». كما أعرب عن تقديره لمساهمات تونس في دفع مسار السلام وفي تعزيز مناخ التسامح الديني في المنطقة. وأكد على ضرورة أن تقطع الإدارة الحالية مع موقف الإدارة السابقة المتمثل في إهمال ملف النزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

- السيدة Betty Mc Collum، عضو مجموعة الصداقة البرلمانية التونسية الأمريكية (Tunisia Caucus) وعضو لجنة الميزانية في مجلس النواب الأمريكي.

أشارت بالخصوص إلى ضرورة اليقظة والتحرك لمواجهة أية أطراف تحاول استغلال مسألة حقوق الإنسان في الكنغرس للمس بسمعة تونس ومصالحها.

- السيد Ed Royce، عضو لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي.

أبدى اهتماما بطريقة مواجهة تونس للتطرف ونجاعتها، وأعرب عن رغبته في زيارة بلادنا.

- السيد Mike Hammer، الناطق باسم مجلس الأمن القومي ونائب الناطق الرسمي للبيت الأبيض.

تناول الحديث بالأساس طرق العمل الإتصالية والإعلامية للإدارة الجديدة. وأبرز المتحدث الاهتمام الكبير للإدارة الجديدة بالرأي العام الأجنبي وخاصة بصورة أمريكا في العالم العربي والإسلامي. وأبرزتُ لمخاطبي التزام بلادنا بمنظومة قيم تنبني على التسامح والسلام والاعتدال في العلاقات مع دول العالم. وأعرب السيد Hammer، من ناحية أخرى، عن رغبته في زيارة تونس.

- السيد William Hudson، مدير شؤون المغرب العربي والجزيرة العربية في وزارة الخارجية الأمريكية وعدد من المسؤولين الآخرين بالوزارة.

أعرب عن أمله في توطيد العلاقات بين البلدين في كافة المجالات. وقال لي أنه سوف يغادر الخارجية بعد أشهر قليلة عندما يختار وزير الخارجية المساعد جيفري فيلدمان طاقم مساعديه الجدد.

V- إتصالاتي بالمنظمات اليهودية. وتضمنت :

1- اجتماعًا بالسيد Joel Rubin، المدير السياسي بمنظمة « J Street ». وهي «لوبي يهودي» حديث العهد يعمل من أجل السلام في الشرق الأوسط بطريقة تختلف عن التوجهات المتشددة للوبي اليهودي التقليدي الداعم لإسرائيل. ويرغب هذا «اللوبي» الجديد في التواصل مع بلادنا من أجل خدمة قضية السلام في الشرق الأوسط. (ويشكل ظهور مثل هذا اللوبي بشكل منظم وبإمكانيات مالية محترمة تطورا واعدا على الساحة الأمريكية).

2- لقاء مع السيد Robert Satloff، مدير معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى. ويواصل هذا المركز إتباع مواقف مساندة لسياسات إسرائيل. ولكنه يبدي أيضا استعدادا أكبر لتقبل الانتقادات الموجهة للسياسات الإسرائيلية.

وأعرب السيد ساتلوف عن شكره لسلطات بلادنا على منحها إياه التسهيلات اللازمة التي سمحت له بتصوير جانب من الشريط الوثائقي الذي يعده حول «الهولوكوست والعالم العربي». (وسوف يتم بث الشريط في نهاية السنة على قنوات تلفزية أوروبية وأمريكية).

3- لقاء مع السيد Jason Isaacson، مدير الشؤون السياسية والدولية في منظمة «American Jewich Committee»، الذي أعرب لي عن رغبة منظمته في إرسال وفد إلى تونس لمواصلة الحوار مع بلادنا حول السبل الكفيلة بإرساء السلام في الشرق الأوسط.

وتفضلوا، سيادة الرئيس، بقبول أسمى عبارات الإخلاص والتقدير.

مع أصدق عبارات الوفاء ،

أسامة رمضاني